جمهـــــــــــــورية العـــــــــراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــــــــــة ميســـــــــان

كليـــــة التربيـــة / قسم اللغة العربيـة

أثر الإسلام في شعر الشعراء المخضرمين

حسان بن ثابت أنموذجاً

بحث تقدمت به الطالبة

زينب علي عبد الرحمن

إلى جامعة ميسان كلية التربية

وهو جزء من متطلبات شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

إشـــراف

م. سجى جاسم محمد

١٤٤٦ هـ

٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً

وكذلك نجزي المحسنين ﴾

(القصص : ١٤)

ـ صدق الله العلي العظيم ـ

الإهـــــــــداء . . .

إلى أستاذتي الفاضلة **سجى جاسم محمد**

يامن كنت نبراس علم ونور درب

كل حرف تعلمته منكِ كان بذرة نمت في قلبي قبل عقلي

زرعت الثقة وسقيتِ الطموح فكان الحصاد هذا الجهد

المتواضع أهديك هذا البحث عرفاناً بجميلك وتقديراً

لعطائك ودعاءً صادقاً بأن يكلل الله خطاكِ بالتوفيق

والسعادة أينما كنتِ . .

الى من وهبني نعمة الحياة ابي وامي

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

الشكر والعرفان

من لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق

ومن هنا اتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان الى استاذتي الفاضلة

سجى جاسم محمد

التي تفضلت بالإشراف طيلة فترة الاعداد فلها مني جزيل الشكر

والتقدير فعطاؤك لا يقدر بثمن بالنسبة لي وأتمنى لك التوفيق في مساعيك المستقبلية

وجزاك الله كل خير

العلم هو مفتاح النجاح وتقدم الأمم بهُ تبنى الحضاراتُ وتزهر العقول لذلك علينا ان

نطلب العلم ونسعى إليه بكل جهد واجتهاد

كل الشكر والتقدير لوالدي العزيزين على دعمهم المستمر

(ولكل من ساعدني في اتمام بحثي)

الـــمحـتـــويـــات

الإهـــــــــــداء..... .....ب
الشكـر والعــرفـان..... ج
المحتويات..... د
المقدمة..... ١
تمهيد البحث ٢
الإسلام والشعر..... ٢
المـــبـــحـث الاول ٥
الشعراء المخضرمون ٦
الخضرمة لغة واصطلاحاً ٦
أثر الإسلام فى شعر الشعراء المخضرمون ٩
المبحث الثانـي حسان بن ثابت الأنصاري ٢١
نسبـــه ٢٢
مـولـدهُ ٢٣
نشأتـــه ٢٣
أثر الإسلام فى شعر حسان بن ثابت ٢٥
أثر القرآن الكريم والسنة النبوية فى شعر حسان بن ثابت ٣٢
اولاً : أثر القرآن الكريم ٣٢
ثانياً : أثر السيرة النبوية فى شعر حسان بن ثابت ٣٤
دور حسان بن ثابت فى الدفاع عن الرسول وهجائهُ للمشركين ٣٨
الخاتمــة ٣٩
المصادر والمراجع..... ٤٠

المقدمة

يعد الشعر مرآة تعكس ملامح العصور ، وتجسد التحولات الثقافية والفكرية التي تمر بها الأمم وقد مثل عصر صدر الإسلام نقلة نوعية في حياة العرب ، أثرت بعمق في شتى مناحي الحياة ، ومنها الأدب عامة والشعر خاصة . وكان الشعراء المخضرمون ـ اولئك الذين عاشوا في الجاهلية ثم أدركوا الإسلام ـ شهوداً على هذا التحول الكبير ، إذ نقلوا في أشعارهم صدى التغيرات العقائدية والاجتماعية التي جاء بها الدين الجديد . ومن بين هؤلاء الشعراء ، يبرز اسم حسان بن ثابت الانصاري ، شاعر النبي محمد ﷺ ، الذي تحولت موهبته الشعرية من مدح القبائل ومآثرها الجاهلية إلى الدفاع عن الإسلام والرد على المشركين ، فغدت قصائده منبراً من منابر الدعوة ، وصوتاً من أصوات العقيدة . ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أثر الإسلام في شعر حسان بن ثابت ، من حيث الموضوعات والأسلوب والمضامين ، والكشف عن ملامح التغيير التي طرأت على شعره قبل الإسلام وبعده ، ما يساهم في فهم أعمق للتفاعل بين الشعر والعقيدة ، ويبرز دور الشعر في نصرة الرسالة الإسلامية ، وقد قسم هذا البحث الى مبحثين ، يتناول المبحث الأول ، الشعراء المخضرمون ـ تعريف الخضرمة لغة واصطلاحاً ـ أثر الإسلام في شعر الشعراء المخضرمون ـ الشعراء المتأثرون بالإسلام ـ ويتناول المبحث الثاني ، حسان بن ثابت الأنصاري ـنسبه ـ مولده ـ نشأته ـ أثر الإسلام في شعر حسان بن ثابت ـ أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في شعر حسان بن ثابت ـ دور حسان بن ثابت في الدفاع عن عن الرسول وهجائه للمشركين ، ومن المشكلات التي واجهتني في بحثي الطابع الحساس في الجمع بين الدين والأدب ، إذ يتطلب البحث في هذا الموضوع توازناً دقيقاً بين احترام النصوص الدينية وتحليل الإبداع الأدبي دون تعارض أو إساءة وقد انهيت البحث بالخاتمة بما توصلت اليه من نتائج في كتابتي لهذا البحث ، وأخيراً أرجو من الله أن أكون قد وفقت في هذا البحث فإن أصبت فالله الموفق وله الحمد وإن أخطأت فحسبي أجر المجتهد المخطئ

تمهيد البحث

الإسلام والشعر:

الشعر فن من فنون التعبير عن المشاعر والأفكار ، وكان له مكانة مميزة في الثقافة العربية قبل الإسلام ، حيث كان الشعراء هم مصدر فخر القبيلة ولسان حالها والمدافع الاول عنها يمجد الشاعر قبيلته ويدافع عنها ، ومع ظهور الإسلام ، لم يلغ الشعر بل وضع له ضوابط تحكمه ، بحيث يكون وسيلة لنشر القيم النبيلة بدلاً من الهجاء والفخر الزائف .

((أتخذ الإسلام من الشعر مواقف تنسجم مع طبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة، فالمواقف الإسلامية لم تكن اعتباطية أو عشوائية ، بل كانت منبثقة من ظروف الدعوة نفسها ،واتخذ الشعر سلاحاً من اسلحة الحرب ، فأخذ يوجه الشعراء نحو الالتزام بقيم الإسلام وتعاليمه ، فشهر هؤلاء ألسنتهم يحاربون بها اعداء الإسلام من مشركي قريش لذلك لا يمكن القول أن الدين الإسلامي قد نهى عن قول الشعر عموماً ، ولا يمكن القول أيضاً أنه شجع الشعر دون توجيه او تهذيب . بل يجب ان ينظر الى النهي والتشجيع من منطلق الأحداث التي رافقت الإسلام ، وطبيعة المواقف والمراحل التي شهدها الإسلام))[1]

اي لا يمكن القول أن الإسلام حرم الشعر بشكل نهائي بل وضع له شروط وأوامر لكي يتبعها الشعراء المسلمون ومن الشروط التي وضعها الإسلام للشعر عدم مخالفة الشعراء للقيم الإسلامية والالتزام بها ومن ناحية اخرى وضع قيود للشعر الإسلامي التي يجب ان يتمسكوا بها ، مثل الابتعاد عن الكفر والمحرمات ، والابتعاد عن الكذب والفحش الإسلامي فالإسلام شجع الشعر الذي يقوم على قيم ومبادئ اسلامية.

((وقد تحدث الباحثون كثيراً عن الشعر في العصر الإسلامي وفي عصر النبوة بصورة

(١) الإسلام والشعر، فايز ترحيني ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ م ، ص٨٧ . ٨٨

خاصة ،فرأوا ان الإسلام وقف موقفاً غير مشجع ،او أنه موقف منعت من الشعر والشعراء وبنوا على هذه النتيجة اسموها ضعف الشعر، لان الإسلام في نظرهم قد هجا الشعر، وحط من شأن الشعراء في القرآن الكريم . وبالغ آخرون بأن عدوا الإسلام مناصباً للشعراء العداء ، فكل هذه الاقوال تقتضي الوقوف بشكل مفصل عند الآيات الكريمة التي تخص الشعر والشعراء والاحاديث النبوية الشريفة بشأنها ، ولقد اتهم المشركون الرسول ﷺ بأنه شاعر ، لانهم ما أرادوا الايمان به نبياً ورسولاً يوحى إليه فنفت الآية الكريمة ادعاءهم بقوله تعالى :

(وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين)[يس:٦٩]

وقال تعالى:(وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون)[الحاقة:٤١]

وقوله تعالى:(بل قالوا اضغاث أحلام بل أفتراه بل هو شاعر)[الأنبياء:٥]

وقد اعلن الجاحظ باستنتاج منطقي رائع عدم تحريم الشعر او تهجينه بقوله:(فاذا وجب ان الكلام غير محرم فان وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريماً))[١]

فالرسول ﷺ حامل رسالة الإسلام الى العرب والناس جميعاً، فموقفه من الشعر هو موقف القرآن والإسلام بصورة عامة حيث كان يعتبر الشعر وسيلة للتعبير عن المشاعر والقيم والافكار وكان ﷺ يستخدم الشعر في خطبه ودعوته ، حيث كان يعتبر الشعر وسيلة للتعبير عن رسالته وكان يشجع على الشعر الإسلامي الذي يركز على القيم الإسلامية والمواضيع الدينية ولا تخرج الاحاديث النبوية الشريفة عن المفهوم الإسلامي العام في النضرة الى الانسان، ومحاولة توجيهه الوجهة الخيرة البناء ، هكذا نجد في الاحاديث النبوية الشريفة اقوالاً تسير في اطار الآيات القرآنية الكريمة السابقة الى تصنيف الشعراء الى قسمين: خير ملتزم بالدين والخلق القويم، ومنحرف لا يقدم فائدة دينية او اخلاقية واذا كان بعضهم قد فهم ظاهر الآيات القرآنية الكريمة او قرأها مبتورة ، واستنتج منها موقفاً متعنتاً من الشعر والشعراء ، فان الاحاديث النبوية الكريمة قد تحمل على ظاهر معانيها ،

(١) الامالي في الادب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، كلية الآداب جامعة مؤته ، دار المناهج ،عمان ـ الاردن ، ٢٠٠٦ م ، د.ط ، ص٤١

ويساء تفسيرها أيضاً مما يوجب المناقشة والتحليل فالرسول كان يعتبر الشعر المخالف للقيم الاسلامية غير مقبول ، وكان يتنبه من الشعر المخالف للقيم الإسلامية، وقد روي عن النبي محمد ﷺ انه قال لئن يمتلئ جوف احدكم قيحاً حتى يريه خير له من ان يمتلئ شعراً [١] فعند العودة الى حادثة التي قيل على أثرها الحديث نجد ان الرسول لم يقصد الشعراء بصورة عامة ، إنما الشعراء الذي يتحدثون الكلام الزائف والذي يثير الاحقاد والضغائن ويثير الفتن .

وقد كان موقف القرآن من الشعر هو موقف محايد ومتوازن ، حيث يشير القرآن الى الشعر كوسيلة للتعبير عن المشاعر والقيم والافكار ،ولكن يحذر أيضاً من الاستخدام السلبي للشعر((اي ان القرآن لم يحارب الشعر لذاته في هذه الحكام وإنما حارب منهج الاهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الاحلام المفهومة الي تشغل اصحابها عن تحقيقها))[٢]

وبصورة عامة وقف الإسلام من الشعر موقف الموجه الى الطريق الصحيح الذي يكون متفقاً مع مبادئ الدين الإسلامي ليكون الشعر وسيلة لبناء المجتمع الإسلامي ودعوة لكل ما هو حسن وليس وسيلة هدم ، ولم يقف الإسلام من الشعر موقف الجمود وانما طور وجدد في معاني الشعر فهناك الكثير من المعاني التي جاء بها الإسلام استخدمها الشعراء في اشعارهم اي غيرت اسلوبهم وصياغتهم للشعر واصبحت معانيهم تدل على الالتزام بالعقيدة والدين وعند ما قلنا ان الإسلام غير من اسلوب الشعراء فهذا دليل على تأثرهم بروح الإسلام فدعا الإسلام الى الابتعاد عن كل ما هو غريب حتى يستطيع الناس فهم الشعر واساليبه بصورة صحيحة .

(١) ينظر : الامالي في الادب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص٤٥

(٢) الإسلام والشعر ، سامي مكي العاني ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٦ م ، ص٣٥

المبحث الاول

الشعراء المخضرمون

- الخضرمة لغة واصطلاحاً

- اثر الإسلام في شعر الشعراء المخضرمين

- الشعراء المتأثرون بالإسلام

ـ الشعراء المخضرمون

ـ الخضرمة لغة واصطلاحاً :

فما دامت دراستنا تتناول شعر المخضرمين ، فعلينا ان نقف على معنى الخضرمة ، ((خضرم . بئر خضرم : كثيرة الماء . وماء مخضرم وخضارم : كثير، وناقة مخضرمة : قطع طرف أذنها . والخضرمة : قطع إحدى الأذنين ، وهي سمة الجاهلية ، ورجل مخضرم إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام . وشاعر مخضرم : ادرك الجاهلية والإسلام))[١]

اصطلاحاً : ((هو الذي ادرك الجاهلية والإسلام والشعراء المخضرمون هم الذين عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام ونظموا الشعر في العهدين :الجاهلية والإسلام ، والمخضرم من يدرك عهدين متناقضين))[٢]

وقد يرى بعض المحدثين ((ان الشاعر المخضرم من تأثر شعره بتعاليم الإسلام وقيمه ، اما من لم يتأثر بالإسلام ، او الذي كف عن قول الشعر كلبيد بن ربيعة ـ كما زعم الرواة ـ فانه لا يصح ان يعد بين المخضرمين ويتصل ، بهذا المعنى ما يمكن ان يسمى بالخضرمة الفنية ونعني ان يتلائم ويتجانس نتاج شاعر او اديب ما مع العناصر الفنية والمعتقدات والقيم السائدة في عصر ما ، فالشاعر الذي عاش ومات في الجاهلية مثلاً ، واثر عنه بعض المعاني التي اقرّها الإسلام فهو مخضرم ولو لم يدرك الإسلام زمنياً، والشاعر الذي ولد في الإسلام ونتاجه الشعري تقليد لمعاني الجاهلية فهو لا يمت الى الخضرمة الفنية بصلة))[٣]

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، دار المعارف ،ط١ طبعته المطبعة الأميرية بالقاهرة ، (طبعة بولاق) ، ١٨٨٢ م ، المجلد الثاني ، ج١٧

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ج٩ ، ط٢ ، ١٩٩٣ م ، ص٨٣٨

(٣) الإسلام والشعر، فايز ترحيني ، ص٩٦

((ومن الشعراء المخضرمين من لقي الرسول وصحبهُ ومدحهُ وروى عنهُ ومنهم من صحبهُ لكنهُ لم يروِ عنهُ ، ومنهم من لم يرهُ لكنهُ دخل في الإسلام وقد ذكر بعض العلماء اسماء الشعراء الذين صحبوا الرسول ورووا عنه ، منهم حسان بن ثابت ،وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ، وعدي ابن حاتم الطائي ، وعباس بن مرداس السلمي ، وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وحميد بن ثور الهلالي ، وابو الطفيل عامر ابن وائلة ، وايمن بن خريم الاسدي ، واعشى بني مازن ، والاسود بن سريع ، والحارث بن هشام ، وعمرو بن شاس ، وضرار بن الازور، وخفاف بن ندبة ، ولبيد بن ربيعة ، وضرار بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبعري ولم تكن للبيد ولا لضرار ولا لأبن الزبعري رواية عنه ، وكذلك ابو ذؤيب الهذلي ، والشماخ ابن ضرار، واخوه مزرد بن ضرار، وقد عد ابن سلام النابغة الجعدي والشماخ بن ضرار، ولبيد وابو ذؤيب الهذلي طبقة وقال : وكان الشماخ اشد متوناً من لبيد ولبيد احسن منه منطقاً))[1]

فهناك الكثير من الشعراء المخضرمون الذين صحبوا الرسول محمد ﷺ ومدحوه كانوا شعراء بارزين في العصر الجاهلي والاسلامي وكانوا يتمتعون بخبرة شعرية كبيرة ، حيث كانوا يملكون مهارات شعرية عالية .

يقول ابن قتيبه : وانما يكون مخضرماً اذا ادرك الإسلام وهو كبير ، فلم يسلم الا بعد رسول الله ﷺ ، ولم يرد هذا التحديد عند غيره ، وهو في هذا يسقط من مفهوم المخضرمين الشعراء الذين اسلموا في عهد رسول الله ﷺ ، وهم كثرة المخضرمين ، وابن قتيبه يعتمد في هذا ـ على ما يبدو ـ على اصطلاح اهل الحديث في تعريف المخضرم ، فقد قال السيوطي في شرح التقريب : المخضرم في اصطلاح اهل الحديث هو الذي ادرك الجاهلية وزمن النبي ﷺ ولم يره ، ويفرق السيوطي بين اصطلاح اهل الحديث ،واصطلاح اهل اللغة ، في تعريف المخضرم ، فيذكر أن المخضرم عند اللغويين ، هو الذي عاش

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ص ٨٤٦

نصف عمره في الجاهلية ، ونصفه في الإسلام ، سواء ادرك الصحبة ام لا [1]

وقد توسع في اطلاق تسمية المخضرمين ، على كل من ادرك دولتين وشهد عصرين ، كرؤبة بن العجاج ، وحماد عجرد ، فانهما ادركا دولة بني امية ، ودولة بني العباس ، فهما من المخضرمين ويترجم أبو الفرج الاصفهاني لعدد من الشعراء ، شهدوا الدولتين ، فينص على تسميتهم بالمخضرمين ، من ذلك قوله في داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة : ((وهو مخضرم من شعراء الدولتين الاموية والعباسية)) [2] وقد ذكر ذلك في اكثر من موضع ، واكثر من ترجمة ، وهؤلاء هم مخضرموا الدولتين .

وكان هناك الكثير من الشعراء المخضرمين الذين لعبوا دوراً كبيراً في تحفيز المسلمين وانتشار الإسلام واعتبروا انفسهم جزءًا من الرسالة الإسلامية وكان من ابرزهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك .

(١) شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه ، يحيى الجبوري ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤ م ، ص٥٥

(٢) شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه ، يحيى الجبوري ، ص٥٦ ، ينظر : الاغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ج٦ ، ١٩٣٥ م ، ص١٠

أثر الإسلام في شعر الشعراء المخضرمون :

هناك شعراء مخضرمين تأثروا بالإسلام ومنهم لم يتأثر بالإسلام وهنا سوف نتطرق على الشعراء الذين تأثروا بالسلام اولاً :

هناك العديد من الشعراء الذين تأثروا بالإسلام في اشعارهم ، وهذا التأثير كان واضحاً في العديد من الاشعار التي كتبوها ، فالإسلام كان تأثيره واضحاً على اللغة والأسلوب الذي استخدمه الشعراء في اشعارهم فان العديد من الشعراء بدأوا يستخدمون اللغة العربية الفصحى في اشعارهم ، وبدأوا يعتمدون على الأسلوب الإسلامي في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم ، وقد أثر الإسلام على مواضيعهم فالعديد من الشعراء بدأوا يكتبون عن المواضيع الإسلامية ، مثل التوحيد ، والنبوة واليوم الآخر وقد أثر الإسلام على القيم والاخلاق التي كتب عنها الشعراء في اشعارهم فكتبوا عن القيم والاخلاق الإسلامية ، مثل العدل ، والرحمة ، والتواضع ، ومن يقرأ في شعر المخضرمين متصفحاً ما نشر في كتب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء يصدرون في جوانب من اشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم ولشعراء المدينة القدح المعلى في هذا الميدان فهم الذين وقفوا مع الرسول منذ نزوله بين ضهرانيهم ينافحون عنه ويدافعون عن دعوته مصورين لهديه الكريم ، يتقدمهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، وكان عبد الله خاصة دائم الاستمداد من القرآن الكريم يستلهمه في هجائه للمشركين وفي كل ما ينظم من اشعار[١] ، على شاكلة قوله :

شهدت بان وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا [٢]

(١) ينظر: محاضرات في الأدب الإسلامي والاموي ، يوسف شحدة الكحلوت ،د.ط ، ج١، ٢٠٠٩م ص٤٣

(٢) ديوان عبدالله بن رواحة دراسة في سيرته وشعره ، وليد قصاب ، كلية الآداب ـ جامعة الرياض ، دار العلوم ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص٩٢

ومن الشعراء الذين تأثر شعرهم في الدعوة الإسلامية حسان بن ثابت فعندما دخل حسان بن ثابت الإسلام لانعرف بالضبط في اي سنه كان اسلامه ويذكر له اول ما قاله من شعر راداً فيه على ضرار بن الخطاب الذي فخر باسره سعد بن عباده بعد بيعة العقبة الثانية قوله :

تداركت سعداً عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته ظلت هناك دماؤه وكان حرياً ان يهان ويهدرا [1]

وهنا يرد حسان على ضرار في اول شعر قاله في الاسلام :

لست الى عمرو ولا المرء منذر اذا ما مطايا القوم اصبحت ضمرا

ولولا ابو وهب لصرت قصائد على شرف الورقاء يهوين حسرا

فانا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمرا الى اهل خيبرا[2]

الى اخر الابيات التي يفخر فيها بشعره ولم يتجاوز هذه المعاني الى الافكار الإسلامية الجديدة التي امن بها ومن ثم اذا تتبعنا اشعار حسان متابعة تاريخية فنجد حسان قد انشغل بالدعوة الإسلامية ، ويرد على شعراء قريش المشركون الذين يتعرضون للإسلام ، ويمدح الاسلام ويفخر بكل ما اتصل بالإسلام من قيم من خلال شعره ، وقد قام بمدح الرسول وكان مدحه للرسول ليس كشخصاً غالباً وانما قرين الوحي والنبوة والرسالة الخالدة المنتصرة فقد كان مدافعاً عن الدعوة الإسلامية فيكفيه فخراً ومكانه ان جعل رسول الله شعره معضداً بالوحي وبجبريل ، وان الرسول ﷺ عرف مكانة حسان ودوره في القضية الإسلامية ومناصرة الإسلام ودوره الكبير في الرد على المشركين بلسانه واشعاره وجاء في قول الرسول ﷺ (ما ينفع القوم الذي نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه

(١) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبد الله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م ، ص١١٨

(٢) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبد الله سنده ، ص١١٨

بألسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت: انا لها ، واخذ بطرف لسانه ، وقال : والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء ، ولو شئت لفريت به المزاد فقال : كيف تهجوهم وانا منهم؟ فقال: اني اسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قال : فأذهب الى أبي بكر ، فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم واهجهم وجبريل معك .[١]

ويوجد في ديوانه الكثير من رده على المشركين كقوله راداً على ابي سفيان بن حرب في فخره بمقتل رجال من المسلمين في احد ومجيباً هبيرة بن ابي وهب المخزومي بقوله :

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم الى الرسول فجند الله مخزيها[٢]

ومن الذين تأثروا بالإسلام هو الشاعر عبد الله بن رواحة لقد كان عبد الله بن رواحة جندياً من جنود الإسلام فدائياً يقتحم الأخطار ، يضع نفسه في حالة استعداد تام ، متى طلب منه الاقدام أقدم ، وان المتتبع لأخبار عبد الله بن رواحة يجدها كثيرة لا يخلو منها كتاب من كتب السير والتراجم ، وهذا يدل دلالة قوية على تمكن الايمان من قلب هذا الصحابي الجليل ، ويدل على قربه من رسول الله ﷺ ـ وثقة الرسول المطلقة في ايمانه ، واما روح الفدائية لدى عبد الله بن رواحة ، فحدث عنها ولا حرج ، لأن الفدائية تعنى بذل النفس والنفيس في نصرة الإسلام ، انها تعنى استعذاب الموت في سبيل الله ـ سبحانه وتعالى[٣] وقد كان عبد الله بن رواحة شاعر عظيم قدره في الجاهلية وفي الإسلام وكان له مكانة عند رسول الله ﷺ والشاعر كان من ضمن اهل يثرب فقد اسلم مبكراً ، وقد كان مثالاً للشاعر المسلم وان رسول الله ﷺ كان يترحم عليه فقد جاء بقوله : (رحم الله عبد الله بن رواحة انه يحب المجالس التي تباهى بها الملائكة)[٤]

(١) ينظر: الامالي في الادب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص٨٥

(٢) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبد الله سنده ، ص٢٨٣

(٣) الشاعر الشهيد عب الله بن رواحة ، عبد المنعم احمد يونس ، مطبعة الامانة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص٤٦ ـ ٤٩

(٤)الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص١٠٦

وكان لعبد الله بن رواحة الكثير من الاشعار التي تحوي معاني إسلامية من فخر بالمسلمين وهجاء لأعداء المسلمين ، فقد قال مادحاً ومفتخراً بالإسلام وبالنبي وأصحابه :

فلم أر كالإسلام عزاً لأمةٍ ولا مثـــل أضياف الأراشي معشـرا
نبيٌ وصديق وفاروق أمـــةٍ وخير بني حواء فرعـــا وعنصـرا
فوافوا لميقاتٍ وقدر قضيةٍ وكـــان قضـــاء الله قدراً مقـــدرا
الى رجل نـجد يباري بجوده شموس الضحى جوداً ومجداً ومفخرا
وفارس خلق الله في كل غارةٍ إذا لبس القـوم الحـــديد المســمـرا
فقد وحياً ثم ادنى قـراهم فلـــم يقرهـــم إلا سمـيناً مـــسمرا [1]

فقد كان مدافعاً عن الدعوة الإسلامية والدين والحق كما انه قاتل الاعداء والمشركين بسيفه وكان يأخذ دائماً من توجيهات رسول الله ﷺ والأخذ بنصائحه لان الشعر كان وسيلة مهمة في الوقوف في وجه المشركين والرد عليهم ، وقال يمدح رسول الله ﷺ ويهجو بعض ابناء قريش من عمر ابن مخزوم وغيرهم :

إنـي تفرست فيك الخير اعرفه والله يعـــلم أن مـــا خانني البصـر
نت النبي ومـن يحرم شفاعته يوم الحساب ، فقد أزرى بـه القـدر
فثبت الله مـــا آتاك مـن حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا
يـا آل هـــاشم إن الله فضلـــكم علـــى البرية فضلاً مـــا لـه غـير
ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك مـــا آووا ولا نصـروا
فـخبروني أثمـــان العبـاء متى كنتـــم بطاريق أو دانت لكـم مضر
نجالد الناس عن عرضٍ فنأسرهم فينـــا النـبي ، وفـينا تنزل الســور
وقـــد علمتم بـأنـــا لـيس يـغـلبنا حي من الناس ، إن عزوا وإن كثروا[2]

(١) شعراء العرب عصر صدر الإسلام ، يوسف عطا الطريفي ، الأهلية للنشر والتوزيع . الاردن ، ط٢ ، ٢٠٠٩م ، ص٢١٣
(٢) ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره ، وليد قصاب ، ص١٥٩

وبعد هجرة الرسـول وأصحابه إلى المدينة واستقرارهم بها ، كـان عبد الله بن رواحة مـن أكثر الأنصار عملاً لنصرة الدين ودعم بنائه ، وكان ابن رواحـة رضي الله عنه ، كاتباً في بيئة لا عهد لها بالكتابة إلا يسيراً ، وكان شاعـراً ، يتطلق الشعر مـن بين ثناياه عذباً قوياً ، ومنذ أسلم ، وضع مقدرته الشعرية في خدمة الإسلام ، وكان الرسول يحب شعره ويستزيده منه[١]

((وتحدثنا المصادر ـ أيضاً ـ أن عبد الله بن رواحة كان غيوراً على دينه ، يبذل كل ما يستطيع في سبيله))[٢]

وقد قال في الهجاء لأعداء المسلمين :

لعمري لقد حكت رحا الحرب بعدما أطـــارت لؤياً قبل شرقاً ومـغرباً

بـــقية آل الكـــاهنين وعـــزها فـــعاد ذليلاً بعـدما كـــان أغلبا

فطاح سـلامٌ وابـــن سعية عـــنوة وقـــيد ذليلاً للمنايا ابـــن أخطبا

كتارك سهـل الأرض والحزن هـمه وقد كان ذا في الناس أكدوا أصعبا

وشأس وعـــزالٌ وقـــد صليا بـــها ومـــا غيبا عـن ذاك فيحن تغيبا[٣]

وقال في مدح الرسول :

وفينا رسـول الله يتلو كتابـه إذا انشق معروفٌ من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا بـــه موقنات أن مـــا قـــال واقـــع

يبيت يجافي جنبه عن فراشـه إذا استـثـقلت بالكافرين المضـاجـع

واعـلم علماً ليس بالظن أننـي إلى الله مـــحشـــور إليه وراجـــع[٤]

وقد كان عبدالله بن رواحة مثالاً للبطولة والجهاد في ابياته الشعرية ضد المشركين ،وقد كان يريد الرحمة من الله ودعاء المسلمين له حتى وان دفن بعيداً عن اهله فيقول:

(١) رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٠م ، ص٢٠٦

(٢) الشاعر الشهيد عبد الله بن رواحة ، عبد المنعم أحمد يونس ، ص٥٠

(٣) شعراء العرب عصر صدر الإسلام ، يوسف عطا الطريفي ، ص٢١١ ، ينظر : ديوان عبد الله بن رواحة ، ص١٣٦

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة ، ص٩٣

لكنني اسأل الرحمـن مغفرةً وضـربة ذات فـرع تقذف الزبدا

او طـعنةً بيدي حران مجهزة بـــحربةٍ تنفذ الاحـشاء والـكبدا

حتى يقال إذا مروا على جثتي ارشده الله من غازٍ وقـــد رشـدا[١]

((وقـد قالو فيه : انه كـان اول خارج إلى الغـزو وآخر قـافل ، وتبقى اشـعار ابن رواحـــة ومـقطوعاته التي قـالها متحمساً او معـبراً عـن مواقف حاسمة فـي حياته وحياة المـسلمين اروع اشعاره مـن حيث صدق العاطفة وتصويرها لأحاسيسه وانفعالاته مـصورة ظـروف الامـة واندفـاع المـؤمنين بالعـقيدة فـي الدفـاع عـن الرسالة السمـاوية بسيوفهم وامـوالهم واشعـارهـم، واذا اردنا ان نبين ميزات اشعـاره نجدها متمثلة بكونها مقطوعـات قـصاراً وليست قصائد طويلة بسبب ارتباطه بأحداث الحرب فـهو يميل الـى الرجز لان صـلاحية الرجز لمثل هذه المواقف معروفة))[٢]

ومـثلما وقـف حسـان بن ثابت وعبد الله بـن رواحـة يناقضون المشـركـين ويهاجمـونهم ويدافعون عن الدعوة الإسلامية فكذلك فعل شاعر آخر وهو ((كعب بن مالك ، صحابي من الأنصار ، وقد مدح الرسول ﷺ))[٣]

وكانت اول صلة كعب بالإسلام يوم العـقبة الثانية، وكان كعـب مؤمناً قوي الايمان ، تـقيـاً شديد التقى ، وكان اثيراً عند رسول الله ، يحبه ويدعو له بالخير ويشجعه على جيد الشعر وكـانت صلة كعب بالرسـول قوية ، فهـو قريـب منه يسمـع الحديث ، فيحفظه فيحدث بـــه وكان كعب فارساً من فرسان المسلمين وقد شارك في اكثر الحروب الإسـلامية وقد ناضل كعب بسيفه ولسانه ، مع من ناضل من شعـراء المسلمين وصور الاحداث بروح إسـلامية ظاهرة التأثر بالدين الحنيف ، فقد كـان كعب بن مالك شاعـراً مخضرماً تأثر بالإســلام فـي اشعاره وبعد ان اسلم تحولت افكاره ومشاعره الى الاسـلام حيث بدأ يعتبر الإسـلام مصدر

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ، ص٩٨

(٢) الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص١١٧

(٣) موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي ، عبد عون الرضوان ، دار اسامة ، الاردن ، ط١، ٢٠٠١م ، ص٢٧٣

الهام له وايضاً تأثرت لغته واسلوبه اذ بدأ يستخدم اللغة العربية الفصحى واعتمد على الاسلوب الإسلامي في التعبير عن افكاره ومشاعره وكانت مواضيعه التي يكتب فيها مواضيع إسلامية كالتوحيد والنبوة من قصائده المشهورة بعد إسلامه قصيدة بانت سعاد [١] وقد كان كعب بن مالك يرد على المشركين في اشعاره ففي بدر يجيب على قصيدة ضرار بن الخطاب ، حيث قال :

عجبت لأمـــر الله والله قـــادر على ما أراد ، ليس لله قـــاهر
قضى يوم بدرٍ أن نلاقي معشراً بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من النــاس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنـــا بأجمعها كـعب جميعاً وعـــامر
وفينا رسول الله والأوس حـوله له معقل منهم عزيز ونـــاصر
وجمع بني النجـــار تحت لـوائه يمشون في الماذي والنقع ثـــائر[٢]

((كما حارب كعب أعداء الله بلسانه ، وذب عن الرسول بشعره ، جاهد بسيفه ، حتى شهد له الرسول عليه السلام بذلك حين قال له : (أنت تحسن صنعة الحرب) واشترك كـــعب مع الرسول في جميع المشاهد ، إلا غزوتي بدر وتبوك ، وقيل إنه شهد بدراً وهذا وهَمَ ينفيه قول كعب نفسه : لم اتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة إلا في غزوة تبوك ، غير اني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يكن تخلفه يوم بدر عن قصد او تهاون))[٣]

وقال في شأن قريش :

ألا أبلغ قريشـــاً أن سلـــعاً وما بين العريض إلى الصماد
نواضح في الحروب مدربات وخوص ثقبت من عـهد عـــاد
كأن الغـاب والبردي فيـــها أجـش إذا تبقـــع للحصـــاد

(١) ينظر : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، يحيى الجبوري ، ص٧٢ ـ ٧٤
(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تح. مجيد طراد ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص٤٦
(٣) كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، سامي مكي العاني ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، ص٥٦

ولــم نجعل تجارتنا اشتراء الـ ـحمير لأرض دوس أو مــراد

مقرناً كل ذي حضرٍ وطل على الغـايات مقتـدرٍ جـــواد[١]

((وقد كان مظهر كعب ـ رضي الله عنه ـ يشبه الرسول ﷺ تمام الشبه ، لذلك فعندما دارت معركة أحد بين المسلمين والمشركين ، فضل كعب أن يكون هدفاً لسهام المشركين بدلاً من الرسول ﷺ فلبس لأمة النبي ﷺ ، وكانت صفراء ، ولبس النبي عليه السلام ، لأمة كـعب ، ودارت المعـركة ، وحمي الوطيس ، فجرح كـعب ـ رضي الله عنه ـ أحـد عشر جرحـاً، وانتشرت شائعة بين المسلمين بأن رسول الله ﷺ قد قتل ، ولكن كعباً ـ صاح بهم : يا معشر المسلمين ، هذا رسول الله ﷺ فأشار إليه الرسول ﷺ : أن اصمت))[٢]

وقد كان لقصائد كعب الإسلامية دور مهم في الدعوة الإسلامية ، حيث كان من ابرز الدعاة إلى الإسـلام فـي العصر النبوي ، حيث كـان ينشد قصائده لتحفيز النـاس على الدخـول فـي الإسلام ولتعريف الناس بالرسول والرسالة الإسلامية ، وقد كان لكعب قصيدة فـي يوم بـدر وعـد بها ابـا سفيان بأن قريشاً ستذل وتطلع عليها خيول المسلمين من كداء بنصر من عند الله قوله :

فما ظفـرت فوارسكـم ببدر وما رجعوا إليكم بالــسواء

فلا تعجل أبا سفيـان وارقب جياد الله تطــلع من كـــداء

بنصر الله روح القدس فيها وميكال ، فيــا طيب المـلاء[٣]

وايضاً كان لكعب اشعاراً في احد اكثر منه في بدر فقد قال يرثي حمزة بن عبد المطلب ومن قتل من المسلمين يوم احد :

نشجت وهل لك من منشج وكـنت مـتى تـذكـر تلـجـج

تـتذكر قــوم اتاني لــهم احاديث فـي الزمن الاعـوج

فـقلـبك مـن ذكـرهم خــافـق من الشوق والحزن المنضج

(١) شعراء العرب عصر صدر الإسلام ، يوسف عطا الطريفي ، ص٢٥٣

(٢) كعب بن مالك الصحابي الممتحن ، محمد يوسف أيوب ، دار الإرشاد ، سوريا ، ط٢ ، ٢٠١٧م ، ص١٧

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تح . مجيد طراد ، ص٢١

وقتلاهم فــي جنــان النــعيم كــرام المـداخل والمــخـرج[1]

فقد كان لكعب الكثير من الأشعــار التي يرثي بها شهـداء المسلمين والعديد من اشعاره التي قالها فـي المعارك الإســلامية في يوم بدر ويوم احـد والـخندق وخيبر، وقد قال في خيبر:

ونحــن وردنـــا خيبراً وفروضـه بكـل فتى عــاري الأشاجـع مذود

جواد لدى الغايات لا واهن القوى جريءٍ على الأعداء في كل مشهد[2]

وهجائـه للعديد مــن مشركــي قريش وايضاً له اشعار في مدح النبي محمد ﷺ ،وفخره بالدين الإسلامي وله مراثي إسلامية كثيرة سواء للمسلمين او الرسول محمد ﷺ ، فرحم الله كعباً فـقد جـاهـد في سبيل الله بلسانه وسيفه وكــان فارساً مـن فرسـان المسلمين شديداً على الكـافرين حريصاً على ان ينتشر الدين ويعـز اهله فكان هـو وحسان ابرز الشعـراء واكثرهم خطـراً على المشركين.

وقد كان هناك مجموعة من الشعراء قل تأثرها بالإسلام فيذكر الشاعران الحطيئة ومتمم بن نويرة حين يذكـر البـادية الذي قل تأثر شعرائه بالإسلام وبالحياة العـربية الجديدة بـعد قـيام الدولة العربية الإسلامية .

وعد الحطيئة ومتمم بن نويرة من شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالإسلام فالأول فلا نعدم اشعاراً في ديوانه فيها أثر إسلامي ولعل عده من شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالإسـلام ليس من خلال النظر الى اشعاره او مفرداته اللغوية ، وانما بسبب الحكم على سلوكه الذي بدا غـير اخـلاقي ولا منسجم مـع مبـادئ الإسلام فكـان يستخدم الشتائـم واللعن فـي بـعض اشعاره خاصه عندما كان يهجو اعدائه وايضاً كان يستخدم الاستهزاء والسخرية في بعض مـن اشعـاره واستخدامه للتعريض والتحريض ايضاً وما وصف به من انه كـان فاسد الدين

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تح . مجيد طراد ، ص٣٢

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تح . مجيد طراد ، ص٤١

او رقيق الدين كما سنذكر بعد قليل ، واما متمم فقد ذكروا انه اسلم ، وحسن إسلامه ، وانما يدرج هنا بسبب كون اشعاره سائرة على نهج شعراء ما قبل الإسلام من حيث لغتها او اخيلتها وتشبيهاتها ومعانيها دون ان نلمح في سلوكه او اخلاقه ما يشين او ما يدل على مخالفته لأوامر الدين او الدولة ، وبذا يمكن ام يدرس هذان الشاعران ليكونا النموذجين للشعراء الذين ساروا على ما اعتادوا عليه في حياتهم قبل الإسلام حتى بدت الاحداث التي سنعرضها في حياة الحطيئة وكأنها حدثت في العصر الجاهلي[١]

يقول الاصمعي : ((كان الحطيئة جشعاً مسؤولا ملحفاً دنيء النفس . كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء ان تقول في شاعر من عيب الا وجدته ، وقلما تجد ذلك في شعره)) وقد يكون الاصمعي بالغ في نعته بهذه الصفات وحقاً كان يمدح سادة القبائل بشعره منذ نشأ في الجاهلية من امثال عيينة بن حصن الفزارى وكان يتورط فيما بينهم من خصومات ومنافرات[٢]

ويذكر الطبري انه اقلع عن الكفر وحسن اسلامه ، حيث اشترك في معركة القادسية ١٤هـ ، واخذ على نفسه تحريض المسلمين على الاستبسال ضد الفرس . بيد ان الأحداث لا تقر حسن إسلامه فقد بقى مضطربا ضعيف الايمان ، وكان الهجاء عند الحطيئة ابرز خصاله ، فهو بضاعته المزجاة ومورد رزقه . وعلى الرغم من شدة عمره وحزمه ، واخذ الشعراء الهجائين بالعقوبة ، فأن الحطيئة كان يهجو الناس كلما اتيح له ذلك . وقد يظهر في شعره هذا اثر الإسلام ، حين يعتذر او يعاتب ، فقد قال يعاتب ويقرع الزبرقان بن بدر بقوله :

(١) ينظر : الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص١١٩

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٧ ، ج٢ ، ١٩١٩م ، ص٩٦

الا ابلغ بني عوف بن كعب فهل قوم على خلق سواءُ[١]

وفيها يقول :

ولما ان مدحت القوم قلتم هجوت ولا يحل لك الهجاء

الم اكُ مسلما فيكون بيني وبينكـم المودة و الاخـاءُ

فلم اشتم لكم حسباً ولكن حدوت بحيث يستمع الحداء [٢]

واذا وردت المعاني الإسلامية في شعر الحطيئة ، فليس معنى ذلك ان الحطيئة كان ذا احط من الدين والورع .

وهنا نتكلم قليلاً عن إسلام المتمم بن نويرة وايمانه ((ولما انعم الله تعالى على البشرية ببعثة محمد ﷺ خاتماً للنبيين ورحمة للعالمين ، وامرهُ بالهجرة الى المدينة المنورة ليقيم هناك دعائم دولة الحق والعدل ، كان متمم ممن قدم المدينة ـ بصحبة أخيه مالك ـ فأسلما على يد النبي ﷺ ودخل متمم واخوه في عداد الصحابة الموصوفين ((بحسن الإسلام))[٣]

وها نحن نذكر بضعة من اشعاره التي وصلت الينا منها يقول :

على قلص روح فمنهم مكوفٌ وآخر عالٍ بطنَ فلج مبصر

ويقول :

نرائي ذراعيها وليست سجية ولكنها مأ لوقة الحلم طائر[٤]

وقال ابو العباس المبرد : ومن اشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة ، وقال ابن الاثير معجباً برثاء متمم : (وأما متمم فلم يختلف في إسلامهُ كان شاعراً محسناً ، لم يقل احد مثل شعره في المراثي التي رثى بها أخاه مالكاً)وقد قيل في بيتة المشهور :

(١) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، يحيى الجبوري ، ص٢٤٤ ' ينظر : ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تح . نعمان محمد امين طه ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص٨٢

(٢) ديوان الحطيئة ، مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص٣٢

(٢) ديوان متمم بن نويرة ، موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ، المجلد الثاني عشر ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ص٩٥

(٤) ديوان متمم بن نويرة ، ص١٠٦

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذارف الدموع السوافك

بأنه ارثى بيت قالته العرب ، وانه ابلغ ما قيل في تعظيم ميت ، وقد علق ابن نباته على هذه القصيدة أيضاً بأنها من جيد مراثي متمم لمالك ويذكر ابن حجر رواية تعكس اعجاب الحطيئة بشعر متمم ، ورثائه فقد ذكر ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة : هل رأيت او سمعت بأبكى من هذا ؟ قال : والله ما بكى عربي قط ، ولا يبكيه[١]

وان حياة متمم بعد الإسلام فقد اتسمت بطابع الحزن والاسى ، اذ لا هم له الا المطالبة بدم أخيه ، وبكائه المستمر عليه ، وان السنة التي كان فيها إسلامه فإنها لم تحدد الا انهم ذكروا بانه أسلم وحسن إسلامه ، ومن رثائه على اخيه مالك قوله :

لعمري وما دهري بتأبين هالك ولا جزعٍ مما أصاب وأوجعا[٢]

((وان الشعر الذي وصل الينا لا يمثل كل ما قاله متمم من شعر انما يمكننا جمعه من عدة مصادر وصلت لنا والذي لا حضناه بشعر المتمم هو وجود ظاهرتين الاولى كثرة شعره الذي وصل الينا على قافية العين ولا ندري سر اعجاب متمم بهذه القافية . هل أن لها وقعاً خاصاً في معاني الرثاء دون القوافي الأخرى ام أنها الصدفة التي حفظت رثاء متمم الذي على قافية العين دون غيره ؟ فقلنا سابقاً لا نستطيع ان نجيب على ذلك مادام شعره الذي وصل الينا لا يمثل ما قاله متمم من شعر بل يمثل ما جمعته المصادر والظاهرة الثانية في شعره هي ظاهرة الاقواء فتكون القافية مرفوعة واخرى مخفوضه او منصوبه وعدت هذه الظاهرة عند النقاد من عيوب الشعر الا أنهم تسامحوا مع شعراء البادية لان البدوي لا يأبه فهو اعذر))[٣]

(١) الامالي في الادب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص١٣٧

(٢) مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، د.ط ، ١٩٦٨م ، ص٣٠

(٣) الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص١٣٩ . ١٤٠

المبحث الثاني

حسان بن ثابت الأنصاري

- نسبهُ
- مولدهُ
- نشأتهُ
- أثر الإسلام في شعر حسان بن ثابت
- أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في شعر حسان بن ثابت
- دور حسان بن ثابت في الدفاع عن الرسول وهجائهُ للمشركين

نسبـه :-

نسب الرواة حسان الى ابيه فقالوا : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حـرام بن عمرو بـن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك ابن النجار – وهو تيم الله – بن ثعلبة بن عمرو بـن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ابن حـارثة الغطريف بن امرؤ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول ابن مازن بن الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ يشجب بن يعرب بن قحطان .

ثم نسبوه الى امه فقالوا : ام حسان الفريعة بنت خنيس ابن لوذان بن عبدون بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج[١]

ومن خلال تطرقنا على نسبهُ من الاب والام فنرى انه خزرجي من جهة الاب والام فأبوه خزرجي وامهُ كذلك .

ويذكر الشاعر ما يدل على نسبهُ الى ازد وغسان فيقول :

اما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان[٢]

وقال ايضاً في نسبهُ :

فأن تك عنا معشر الأسد سائلاً فنحن بنو الغوث بن زيد بن مالك
لزيد ابن كهلان الذي نال عزهُ قديماً ذراري النجوم الشوابـــك
اذا القوم عدوا مجدهم وفعالهم وأيامهم عند التقاء المناســـك
وجدت لنا فضلاً يقر لنا بـــه اذا ما فخرنا كل باق وهـــــالك[٣]

(١) حسان بن ثابت شاعر الرسول ، سيد حنفي حسنين ، دار النشر المؤسسة المصرية العامة ، ط١ ، ١٩٦٣ م ، ص ٢٦

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ،د. ط ، ١٩٢٩ م ، ص٤١٣

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، عبد الرحمن البرقوقي ، ص٢٩٥

مولدهُ :-

ليس لدينا من الانباء الموثوقة ما يتيح لنا أن نحدد على وجــه الدقة تاريخ ولادة حســان وسنة وفاته ورواية المؤرخين القدامى في هذا الشأن لا تخلو مـن اضطراب وتناقض ، فأكثر الذين ترجموا لحسان يذكرون انـه عاش مئة وعـشرين سنة نصفها فــي الجــاهلية ونصفها فـي الإسلام وهم يسوقون في تحديد سنة ولادتــه خبراً مروياً على لسان حســان خلاصته انـه سمع وهــو ابن سبـع او ثمان سنوات يهودياً بيثرب يتنبأ بمــولد الرســـول ﷺ ويستدلون من هذا الخبر على ان حسان عاش فـي الجاهلية ستين سنـة اذ ان الرســول ﷺ بعث ولهُ اربعون سنة واقام بمكة ثلاث عشرة سنة قبل ان يهاجر . وثمة خبر عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان انه سأل عن سن ابيه مقدمَ رسول الله ﷺ المدينة فأجاب انه كان يومئذ ابن ستين سنة ولكن المؤرخون حين يحددون سنة وفاة حسان لا يجاوزون بها سنة أربع وخمسين للهجرة بـل ان بعضهم يعود بها الى سنة خمسين. او اربعين او قبيل ذلـك وهم بذلك يناقضون زعمهم انه عاش ستين سنة في الإسلام ويظهر ان بعضهم لاحظ هذا التناقض فخالف رواية الجمهور وجزم بأنه عاش مئة واربع سنوات[١]

نشأته:ـ

((نشأ الشاعر حسان بن ثابت نشأة قحطانية ، فهو من بني النجار من سكان يثرب قدر له ان يشهد جـميع الايـام التي كانت بين الاوس والخزرج من اقتتال كيوم بعاث ويـوم الـدرك فكان يمثل الفنان الموهوب الذي ملك عليه الشعر حسه وارهف سمعه ودفعه في تؤدة ولين الى هذه الاجواء التي يلحق فيها بشعره))[٢]

(١) حسان بن ثابت ، احسان النص ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط٣ ، ١٩٨٥ م ، ص٣٤

(٢) شاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ،عبد الله أنيس الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د.ط ، ١٩٥٥ م ، ص٩. ١٠

وقد نشأ حسان في اسرة لها شأن عظيم في الجاهلية والإسلام ،فهو كان من قبيلة الاوس التي كانت تعتبر واحدة من القبائل العربية المهمة في ذلك الوقت ، وقد نشأ في بيئة ثقافية غنية حيث كان يتعلم الشعر والادب واللغة العربية ، فوالده ثابت بن المنذر كان حكماً بين الاوس والخزرج في حرب يوم سمير ، وله اخوة منهم اوس بن ثابت الذي شهد العقبة مع السبعين من الانصار كما ان الرسول عندما هاجر الى المدينة آخى بينه وبين عثمان بن عفان ، وله آخر وهو ابي ابن ثابت[١]

((اما ابناؤه فكان له عبد الرحمن وقد اشتهر ايضاً بالشعر وامه سيرين اخت ماريا القبطية ، وقيل عنهم اي عن آل حسان انهم اعرق الناس في الشعر))[٢]

((وتمثل حياة حسان بن ثابت ممازجة بين ثقافات وحضارات متعددة فقد عاش في عصر الجاهلية ما قبل الإسلام وعصر الإسلام عندما ناصر النبي ﷺ وسمي بشاعر الرسول ﷺ لذا نجد ان حياته قد تنوعت سواء على المستوى الشعري ام الاجتماعي ،فقبل الإسلام كان له اتصال بملوك الغساسنة في الشام اذ مدحهم وتغني بهم شعراً ،وكان متصلاً ايضاً بملوك الحيرة وملوك العراق فأغدقوا عليه العطايا والهبات ،وكان له منزلة رفيعة في نفوس الولاة والامراء ، يقول ابو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاث : شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ،وشاعر اليمن كلها في الإسلام ، فقد اجمعت العرب على ان حسان اشعر اهل المدر اي الحضر))[٣]

اذن شاعرنا حسان بن ثابت الذي عرفته الجزيرة قبل الإسلام فحلاً من فحول الشعراء الجاهليين وعرفته في بلاط الغساسنة مادحاً وفي بلاط المناذرة متوددا وعند النابغة محتكماً، فقد وقف بين سيد الكائنات ﷺ ويصبح منذ اليوم شاعر النبي يرافقه في حياته

(١) ديوان حسان بن ثابت ، سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص٩

(٢) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ، تح : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الخامس ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ص١٩٣

(٣) شاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ، عبدالله انيس الطباع ، ص ١٠ـ ١٣

الجديدة التي كتبها الله له ، ويرافقه في جهاده فقد قام بتأريخ حياة النبي الكريم ويؤرخ مواقع المسلمين حتى اصبح شعره بصورة مثالية وصادقة وايضاً اصبح مؤرخاً للدعوة الإسلامية وكل ما مرَ بها من حوادث ومعارك وجهاد ولعل حسان كـان جديراً بأن يرافق النبي فـي تلك الحقبة التاريخية لان تدوينه كان صادقاً من دون تزويق فجعل من شعـره اداة تنعكس عليه صفات النبي ومثاليته فتكون هذه الصفات وهذه المثالية المثال البارز لحياة الرسـول الاعظم[١]

ومـن خلال العرض الذي قدمنـاه لحياة الشاعـر نستطيع القول ان شاعرنا كـان ملتزمـاً لتوجيهات الرسول الاعظم من خلال ما قدمه ﷺ ليجعل شعر الشعراء متوافق مـع مبادئ الإسلام عبر توجيه الشعراء وتغير الكثير من الالفاظ الشعرية والافكار.

إثر الإسلام في شعر حسان بن ثابت :

ان حسان بن ثابت هو اول من تأثر بمفردات القرآن الكريم فحسان هـو فحل من فـحول الشعراء ومخضرمٌ ادرك الجاهلية وادرك الإسلام واذا نظرنا الى شعره في الجاهلية فأننا نجد شيئاً مـن الفخامة وكانت فـي ذلك الوقت مفردات القرآن الكـريم غائبة لأن القـرآن لـم يكن قـد نزل فـي ذلك الحين ثـم جـاءت مفردات لم تكن معروفة فـي الجاهلية فـي قصائده وهي مفردات قرآنية وظفها حسان في شعره ومن شعره مثل قوله :

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقـد تبرز المعاني الإسـلامية فـي بعض اهـاجيه لقريش كقولـه مـن مقطوعة يعيرهـا فيها بهزيمتها يوم بدر :

فينا الرسول وفينا الحق نتبعهُ حتى الممات ونصر غير محـدود

مستعصمين بحبلٍ غير منجذم مستحكم مـن حبـــال الله مـمدود

(١) ينظر : شاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ، عبدالله انيس الطباع ، ص ٢٨

وهو يشير في البيت الثاني الى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً)[١]

ويقول النقاد والمختصون في الشعر ان شعره في الجاهلية اقوى واحسن من الشعر الذي قاله في الإسلام ويرجعون ذلك لانبهاره في اساليب القرآن الكريم ومعانيه وتقيده الشعر بقيود اخلاقية منها الابتعاد عن الكذب والمبالغة وحد الإسراف وايضاً رأي آخر انه اسلم بعد ان بلغ الستين من عمره وتكون قد انطفأت جذوة الشعر لديه .

كما قالوا ((ان شاعرية حسان تقل وضوحاً وقوة في الإسلام عنها في الجاهلية لان الشعر في هذا العهد اصبح وسيلة عملية ، لا هدفاً فنياً ، وان حسان صار واحداً من مجموعة انصارية ، تقف شعرها على مواجهة المشركين والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقوم كل منها بنصيبه في الغرض المشترك))[٢]

وقد ينسب النقاد غلبة السهولة واللين على إسلامياتهُ ، الى شيخوخته وكثرة ما دس عليه او ارتجله في الإسلام وانبهاره ببلاغة القرآن الكريم واستخذائه امام قوة اسره للنفوس وافحامه لأرباب البيان ، فهان ولين امام روعة القرآن فقد نلاحظ على اشعاره غلبت عليها الرقة واللين والدماثة واللطف وسهولة المأخذ وواقعية الصورة وذكروا ان اللين قد مس بعض المعاني الإسلامية الجديدة غير المألوفة في الجاهلية ، لأن القول فيما الف الناس القول فيه اسهل من القول في الجديد غير المألوف . او لكثره مخالطها من الفاظ الإسلام واحداثه[٣]

(١) ينظر : تاريخ الادب العربي العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، ص٨٢ ، ينظر : ديوان حسان بن ثابت ، تح . وليد عرفات ، معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، ج١ ، ١٩٧١م ، ص١٨ . ١٢٨

(٢) دراسات في الادب الإسلامي ، محمد خلف الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط١ ، ١٩٤٧ م ، ص٥٢

(٣) ينظر : حسان بن ثابت ، محمد ابراهيم جمعه ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧١م ، ص٣٧

وكان البعض ممن يرى على خلاف هذا الرأي (بوجود اللين في اشعاره الإسلامية) فاذا تعمقنا في ديوان حسان نجد الفحولة في شعره لا تفارقه في جاهليته وإسلامه واذا وجدنا من الضعف في بعض اسلامياته فهذا ليس اصيل في فنه وانما ساقته ظروف طارئة .

قال ابن خلدون في مقدمته((ان كلام الإسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذوقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فإنا نجد شعر حسان بن ثابت ، وعمر بن ابي ربيعة ، والحطيئة وجرير والفرزدق و.....ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة ، وعنتر، وابن كلثوم ، وزهير، وعلقمة بن عبده و....والطبع السليم والذوق الصيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة ، والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث الذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما ، لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على اساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم ، وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة واصفى رونقاً من اولئك ، وارصف مبنى واعدل تثقيفاً ، بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة))[1]

نتناول اول شعر قاله حسان في الإسلام ووقوفه الواضح مع الدعوة الإسلامية والرسول وقال يجيب رجلاً من قريش في اسرهم سعد بن عبادة حين بايعوا النبي ﷺ يوم الاثني عشر نقيباً فطلبوهم فلحقوا سعداً ، وفاتهم المنذر بن عمرو، فأسروا سعداً وضربوه حتى خلصه اميه بن خلف والحارث بن هشام ، فقال القرشي :

تداركت سعداً عنوة ، فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذراً

(١) حسان بن ثابت ، محمد براهيم جمعه ، ص ٣٨

ولو نلته طلت هنـــاك جراحـــه وكـــان حريـــاً ان يهـــان ويهدرا

فقال حسان يجيبه ، وهوه اول شعر قاله في الاسلام :

لست الى عمرو ، ولا المرء منذر اذا ما مطايا القوم اصبحن ضمرا

فلولا ابو وهب لمرت قصـــــائدٌ على شرف البرقاء ، يهوين حسرا

فانا ومن يهدي القصائد نحونـــا كمستبضع تمرا الى اهل خيبرا

فلا تك كالوسنان يحلـــم انـــــه بقرية كسرى ، او بقرية قيصـــرا[١]

فنلاحظ ان هذه الابيان ليس فيها بعد الروح الإسلامية ولا النفس الإيماني لأنها اول قصيدة يقولها في الإسلام فهناك الكثير من المعاني التي جاء بها الدين الإسلامي ولكـن فيها ذلـك الروح التهكمي والتهديدي وذلـك النفس الشعـري الـذي اسلفنا ان حســان كـان مهيأ له بأستعداده الفطري وظروفه ومكانته بين شعراء المدينة .

وفي مدح حسان الذي قاله في الرسول ، وسمعه النبي ﷺ ولم ينكره دليل على انه اول من اسلم من الرجال وفيه :

خير البرية اتقاها ، وافضلهـا بعد النبي ، واوفاها بمـا حملا

والثاني التالي المحمود مشهده واول الناس قدماً صدق الرسلا[٢]

وقال حسان في مدح الرسول ﷺ

والله ربي لا نفارق ماجداً عفت الخليقة ماجد الاجداد

متكرماً يدعوا الى رب العلى بذل النصيحة رافع الاعماد

مثل الهلال مباركاً ذا رحمة سمح الخليقة طيب الاعواد[٣]

(١) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبدالله سنده ، ص١١٨

(٢) الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام السهيلي ، مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون ، ج١ ، ١٩٧١ م ، ص ٢٨٨

(٣) موسوعة شعراء صدر الاسلام والعصر الأموي ، عبد عون الرضوان ، ص ١١٦

ومن الجدير بالذكر ان الإسلام بدل من قيم حسان وطبائعه واستطاع ان يغير مجرى حياته كلها ، وان يجعلها تسير في اتجاه جديد وان لحسان مكانة عالية بين الرواة ، كونه شاعراً للرسول ، كما اكتسب من الإسلام صبغة شعرية مميزة فهو اكثر من دافع عن الرسول واتفق الرواة فيما بينهم على ان حسان بن ثابت اشعر اهل اليمن ، واتفقوا ايضاً على انه اكثر الشعراء بلاغة في عصره .

وقد احتوى ديوان حسان بن ثابت العديد من القصائد الحافلة بالمعاني الإسلامية والدين الإسلامي في معارك الإسلام والدفاع عن الدين ودعوة الرسول ﷺ ، ومن قصائده يوم احد قال رضي الله عنه :

اذا عضل سيقت الينا ، كأنهم جداية شرك ، معلمات الحواجب
اقمنا لكم طعناً مبيراً ، فنكلاً وحزناكم بالضرب من كل جانب
ولو لا لواء الحارثية اصبحوا يباعون في الاسواق بيع الجلائب
يمصون ارضاف السهام ، كأنهم اذا هبطوا سهلاً وبار شوازب[1]

حيث كانت تلك القصائد التي يلقيها في المعارك هي تحفيز الرسول والمسلمين على قتال المشركين وامتازت بالعمق والشعور واللغة الفصيحة والتصوير والوصف.

قال حسان بن ثابت في يوم احد يهجو بني عبد الدار ، وكانوا حافظوا على لوائهم حتى قتلوا رجلاً بعد رجل فصار اللواء الى عبد لهم اسود يقال له صواب:

فخرتم باللواء ، وشر فخر لواء حين رد الى صواب
جعلتم فخركم فيه لعبد من الاءم من يطا عفر الترا
حسبتم ، والسفينة اخو ضنون وذلك ليس من امر الصواب
بان لقاءنا اذ حان يوم بمكة بيعهم حمر العياب [2]

(١) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبدالله سنده ، ص٢٥

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تح . عبد الله سنده ، ص٤١ ، ٤٢

وقال في يوم بدر :

خابت بنو اسد وآب عزيزهـــم يوم القليب ، بسوءة وفضــوح

منهم ابو العاصي تجدل ،مقطعاً عن ظهر صادقة النجاء سبـوح

والمرء زمعة قد تركن ونحـره يدمى بعاند معبط مسفـــــوح

ونجا ابن قيس في بقية قومـــه قد عر مارن انفه بقـــــيوح[1]

((وان حسان بن ثابت هو من عكلٍ . وكان شاعراً جواداً ، ويسمى الكيس ، لحسن شعره وهو جاهلي ، وادرك الاسلام فأسلم ، وهو القائل لرسول الله ﷺ :

انا اتيناك وقد طال السفـــــر نقود خيلاً ضمراً فيها عســـر

نطعمها الشحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر

الشحم : يعنى اللبن))[2]

فعندما انتشر الإسلام وقويت شوكة المسلمين واصبحوا لا يخشون احداً وان حسان كـان فرحـاً ومسروراً بهـذا الدين الجديد الـذي آخى بين قومـه الخـزرج وبين اعمامــه الاوس واصبحوا اخواناً بعد تلك العداوة ، وكان النصر عظيم في بدر ، وحسان ينشد مفتخراً في هذا النصر ويعتبره مقدمة للسعادة فـي الدارين وفخره هنا يختلف عـن فخره بالجاهلية ... حيث اصبح يفتخر بأتباع الحـق والايمان بمبادئ الإســلام التي جاء بها الرسـول الكريم فيقول :

قومي الذين هم آروا نبيهم وصدقوه واهل الارض كفــار

الا خصائص اقوام هم سلف للصالحين مع الانصار انصار

مستبشرين بقسم الله قولهم لما اتاهم كريم الاصل مختار

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ت. عبدالله سنده، ص ٥٢

(٢) الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، تح. ش. احمد محمد شاكر ، دار المعارف ،القاهرة ، د.ط ، ج١، ١٩٥٨م ، ص٣٠٩

اهلاً وسهلاً ففي امن وفي سعة نعم النبي ونعم القسم والجـــار

فانزلوه بـدار لا يخـــاف بهـا من كان جارهم داراً هي الدار

وقاسموه بها الاموال اذ قدمـوا مهاجرين وقسم الجاحد النـــــار[1]

فكان شرح هذه الابيات عن الاخاء والمساواة بين المهاجرين والانصار وتقسيم الاحوال بينهم بنفوس طيبة منشرحة بها ضمائرهم .

وان حسـان في الرثـاء بدا صادقاً فـي دعـم الدعوة الإسـلامية مـن حيث ربطه بالمفاهيـم الإسلامية الجديدة التي تحول حرقة بكـاء فراق القتلى الى بشـر بفوزهم بالجنة وحزن على فراق موقت حيث يجمع الله تعالى المؤمنين يـوم الحساب ، من ذلك رثائه لقتلى مؤتة الـذي يقول فيه :

تأوبني ليل بيثـرب أعســـر وهم إذا ما نوم الناس مسهر

لذكرى حبيبٍ هيجت ثم عبرةً سفوحاً وأسباب البكاء التذكر

بلاء وفقــدان الـحبيب بليـــةً وكم من كريمٍ يبتلى ثم يصبر

ويذكر بعد هذه المقدمة الشهداء الذين وقعوا في هـذه المعركة ، فسبقوه الى الموت المـقدر المكتوب يقول :

رأيت خيار المؤمنين تواردوا شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

فلا يبعـدن الله قتلى تتابعـــوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

إلى ان يقول :

فصار مع المستشهدين ثوابـــه جنان وملتفت الحدائق أخضـر

وكنا نرى في جعفر من محـمد وفاءاً وأمرا حازماً حين يأمـر

فما زال في الإسلام من آل هاشمٍ دعائم عزٍ لا ترام ومفخـــــر[2]

(١) شاعر الاسلام حسان بن ثابت الانصاري ، وليد الاعظمي ، مكتبة المنار ، الكويت ، د.ط ، ١٩٦٢ م ، ص٦٩

(٢) الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، ص٨٦

وله مراثٍ في الرسول الكريم تتضح فيها المعاني الإسلامية اتضاحاً على نحو ما يلقانا في مرثيته التي رواها أبو زيد الأنصاري والتي يقول فيها :

وما فقد الماضون مثل محمدٍ ولا مثلـه حتى القيامــة يفقد

ومن قوله في عمر حين توفى على إثر طعنة فيروز المجوسي :

فجعنا فيروز لا در دره بأبيض يتلو المحكمات منيبِ

وعلى هذا النحو اتشحت بعض أشعار حسـان الإســلامية بأضواء الــدين الحنيف وهـديه الكريم[١]

أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في شعر حسان بن ثابت :

اولاً : اثر القرآن الكريم

ان شاعرنا تأثر بالبيئة الإسلامية وظهر ذلك في الفاظه ومعانيه وظهر ذلك ايضاً في تكرار لفظ (رسول الله) وهو اول من تأثر بمفردات القرآن الكريم فعندما جـاء الإســلام جاءت مفردات لم تكن معروفة ومألوفة في الجاهلية فقال حسان في همزيتهُ يخاطب ابا سفيان بن الحارث ابن عم النبي ﷺ قبل ان يسلم ابو سفيان ، قال حسان :

وجبريل امين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء [٢]

فهذه المفردات (جبريـل ، امين الله ، روح القـدس) فهـذه المفردات لـم تكن معروفــة في الجاهلية ولم يكونوا يعرفوا ما جبريل ولا في مفرداتهم والفاظـهم روح القدس ، فهي كلها الفاظ قرآنية اخذها حسان من القرآن الكريم ووضعها في صناعة الشعر .

((ولما اسلم حسان استقر الايمـان في صدره وصحب رسـول الله ﷺ واغترف مـن ينابيع

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، ص٨٣

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، عبدالله البرقوقي ، ص٦

حكمته ، وقرأ القرآن الكريم وتأثر به ، حتى رقت شمائله وتهذبت الفاظه ، واقتبس حسان فنوناً في التعبير من كلام الله المجيد ، وصار يرصد شعره بتلك الجواهر القرآنية الكريمة ، مما اعطى جمالاً ورونقاً بشعره فوق بهائهُ وجماله))[١]

وهناك الكثير من الشواهد التي تدل على اقتباس حسان بن ثابت في اشعاره من القرآن الكريم ، فقال حسان بن ثابت وهو يرثي خبيباً :

صبراً خبيب فان القتل مكرمة الى جنان نعيمٍ يرجع النفس[٢]

وهو كما ترى اشارة بديعة واقتباس لطيف من القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى : ((يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية))[٣]

فحسان بن ثابت كان يقتبس من القرآن الكريم لأنه كان مؤمن بالله تعالى واليوم الآخر وكان يعتبر القرآن مصدراً الهياً ، وان اقتباسه من القرآن الكريم للتعبير عن ايمانه واطاعته لله كان للدفاع عن الإسلام ضد المشركين والمنافقين والذين وقفوا ضد الدعوة الإسلامية . وكذلك ما قاله في رثاء النبي ﷺ فيما عدد من صفاته الشريفة واخلاقه العالية وروحه الكريمة ونفسيته السمحة يقول :

عزيز عليه ان يحيدوا عن الهدى حريص على ان يستقيموا ويهتدوا [٤]

فهنا تأثر حسان واضحاً وظاهراً بأسلوب القرآن الكريم وقد اقتبسه من الآية الكريمة في قوله تعالى :((لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءُوف رحيم))[٥]

فقد اصبح حسان بن ثابت يعبر عن ايمانه بالله واليوم الاخر في اشعاره وانه استخدم لغة فصيحة وواضحة في اشعاره ، متأثراً باللغة القرآنية حيث اصبح اسلوبه الشعري اكثر توازناً وتناسباً ، متأثراً بلغة القرآن الكريم .

(١) شاعر الاسلام حسان بن ثابت الانصاري ، وليد الاعظمي ، ص٢٦٢

(٢) ديوان حسان بن ثابت ، وليد عرفات ، ص٢٢٧

(٣) سورة الفجر آية (٢٧ ـ ٢٨)

(٤) شاعر الإسلام حسان بن ثابت الانصاري ، وليد الاعظمي ، ص٢٦٣

(٥) سورة التوبة آية ١٢٨

ومن اقتباسات حسان اللطيفة التي تدل على شدة تأثره بأسلوب القرآن الكريم وطريقة تعبيره التي انفرد بها ، من ذلك التأثر قول حسان يمدح ابا بكر رضي الله عنه وموقفه في هجرة النبي ﷺ وكيف وآساه ودافع عنه في احلك المواقف واشد الاحوال يوم حاربه قومه وصمموا على قتله ﷺ يقول حسان مادحاً ابا بكر :

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صعد الجبلا [1]

والبيت لا يحتاج الى تعريف اذ انه يشير بنفسه الى الآية الكريمة في قوله تعالى :

((الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار)) [2]

والخلاصة : كان حسان بن ثابت يقتبس من القرآن الكتريم لأسباب دينية ، ادبية ، وثقافية ، وكان يعتبره مصدراً للألهام والهوية وبأقتباسه من القرآن الكريم حيث تغيرت مواضيعه واسلوبه وقيمه واصبح شاعراً اكثر عمقاً وروحانية .

ثانياً : أثر السيرة النبوية في شعر حسان بن ثابت :

كانت السيرة النبوية لها تأثير كبير في شعر حسان بن ثابت حيث كان الشاعر يعتبر النبي محمد ﷺ قدوة ومرجعاً له وكانت السيرة النبوية مصدراً للإلهام له في اشعاره ، وقد ظهر تأثير السيرة النبوية في قصائد حسان بن ثابت ومنها القصائد التي اختصت بمدح النبي محمد ﷺ حيث كان يصف فيها خصاله وصفاته .

فقال حسان في مدح النبي ﷺ :

والله ربي لا نفارق ماجداً عف الخليقة ماجد الاجداد
متكرماً يدعو الى رب العلا بذل النصيحة رافع الاعماد
مثل الهلال مباركاً ذا رحمة سمح الخليقة طيب الاعواد
ان تتركوه فأن ربي قادر امسا يعود بفضله العواد
والله ربي لا نفارق امره ما كان عيش يرتجى لمعاد

(١) شاعر الاسلام حسان بن ثابت الانصاري ، وليد الاعظمي ، ص٢٦٦

(٢) سورة التوبة آية ٤٠

لا نبتغي رباً سواه ناصراً حتى توافي ضحوه الميعاد([1])

وقال حسان ايضاً يمدح النبي ﷺ

اغر، عليه للنبوة خاتـــــــــم من الله مشهود يلوح ويشـــــهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمـــــه اذ قال في الخمس المؤذن اشـــهد
وشق له من اسمـه ليجلـــــــه فذو العرش محمود، وهـــذا محمد
نبي اتانـــا بعـــد يأس وفتـــــرة من الرسل، والاوثان في الارض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهـاديـــــاً يلوح كما لاح الصقيل المهـــند
وانذرنا ناراً ، وبشر جنـــــة ، وعلمنا الإســـلام ، فالله نحمـــد
وانت اله الخلق ربي وخالقـــــي ، بذلك ما عمرت في النـــاس اشـــهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك الـــــهاً ، انت اعلى وامـــجد
لك الخلق والنعماء ، والامر كلـــه، فإياك نستهدي ، واياك نعبـــــد [2]

فحسان بن ثابت كان يعتبر النبي ﷺ قدوة في السلوك والتصـرف ، وكـان حسان يعتبـر شاعراً للنبي محمد ﷺ فقد كان دوره كبيراً في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في المعارك الإسلامية وايضاً يعتبر شاعراً جيداً في الهجاء والفخر.

((فحسان بن ثابت قد وقف مدحه فـي الإسـلام على رسـول الله ﷺ ، وقصر هجائـه علـى المشركين ، وقد اكتسب شعره في الإسلام كثيراً من العذوبة والتعابير الإسلامية والاقتباس من القرآن الكريم))[3]

(١) ديوان حسان بن ثابت ، وليد عرفات ، ص٣٠٥

(٢) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبدالله سنده ، ص٥٤

(٣) شعراء العرب عصر صدر الاسلام ، يوسف عطا الطريفي ، ص١٦٠

وكتب الشاعر حسان بن ثابت قصائد عن الغزوات والصراعات التي خاضها النبي محمد ﷺ حيث كـان يصف فيها شجـاعته وقيادتــه ، فقد كتب قصائـد يرد فيها على المشـركين ويبرر الإسـلام فقال حسان فـي غزوة بدر الموعـد ، وكـان النبي ، صلى الله عليه وسلم واعـد قريشاً فوفى النبي ﷺ ، فأتاهم ولم تأت قريش :

اقمنا على الرس النزيع لياليـــــاً ... بأرعن جرارٍ عريض المباركِ
بكل كميتٍ جوزه نصف خلقـــــه ... وقب طوالٍ مشرفات الحواركِ
ترى العرفج العامي تذري اصولــه ... مناسم اخفاف المطي الرواتــكِ
إذا ارتحلوا من منزلٍ خلت انـــه ... مدمن اهل الموسم المتعــاركِ
نسير فلا تنجو اليعافير وسطنـــــا ... ولو وألت منا بشد مواشــكِ
ذروا فلجات الشام قد حال دونهـــا ... ضراب كأفواه المخاض الأواركِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهـــم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائــكِ
إذا هبطت حوران من رمل عالــجٍ ... فقولا لها ليس الطريق هنالــكِ
فإن نلق في تطوافنا والتماسنـــــا ... فرات بن حيان يكن رهن هالــكِ
وإن نلق قيس بن امرىءِ القيس بعده ... نزد في سواد وجهه لون حالـــكِ
فأبلغ أبا سفيان عني رسالـــــة ... فإنك من شر الرجال الصعالــكِ[1]

(١) ديوان حسان بن ثابت ، وليد عرفات ، ص٨٥

وقال حسان بن ثابت يعدد ايام الانصار مع النبي محمد ﷺ ويذكر مواطنهم معه في ايام غزوه: قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألست خير معد كلها نفـــــراً ومعشراً ان هم عموا وان حصلوا
قوم هم شهدوا بدراً بأجمعهـــــم مع الرسول فما ألوا وما خذلـــوا
وبايعوه فلم ينكث به احـــــد منهم ولم يكُ في ايمانهم دخـــل
ويوم صبحهم في الشعب من احد ضرب رصين كحر النار مشتعـــل
ويوم ذي قرد يوم استثار بهـــم على الجياد فما حاموا وما نكلـــوا
وذا العشيرة جاسوها بخيلهـــــم مع الرسول عليها البيض والاســـل
ويوم ودان اجلوا اهله رقصـــــاً بالخيل حتى نهانا الحزن والجبـــل
وليلة طلبوا فيها عدوهـــــــم لله والله يجزيهم بما عملـــــوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهـــــم مع الرسول بها الاسلاب والنفـــل
وليلة بحنين جالدوا معـــــــه فيها يعلهم بالحرب اذ نهلـــــوا
وعزوة القاع فرقنا العدو بـــــه كما تفرق دون المشرب الرســـل
ويوم بويع كانوا اهل بيعتـــــه على الجلاد فآسوه وما عدلـــوا
وغزوة الفتح كانوا في سريتـــه مرابطين فما طاشوا وما عجلـــوا
ويوم خيبر كانوا في كتيبتـــه يمشون كلهم مستبسل بطـــــل
بالبيض ترعش في الايمان عارية تعوج في الضرب احياناً وتعتـــدل
ويوم سار رسول الله محتسبـــاً الى تبوك وهـــم راياتـــه الاول
وساسة الحرب إن حرب بدت لهم حتى بدا لهم الاقبـــال والقـــفل
اولئك القوم انصار النبي وهـــــم قومي اصير اليهم حيـــن أتصـــل
ماتوا كراماً ولم تنكث عهودهـــم وقتلهم فـــي سبيل الله إذ قتلـــوا [1]

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، دار ابن حزم ، بيروت . لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩ م ، ص٦١٧

دور حسان بن ثابت في الدفاع عن الرسول وهجائهُ للمشركين :

كان حسان بن ثابت يرد على الشعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول محمد ﷺ ويهاجمون الإسلام فكان يهجو المشركين ويؤنبهم على كفرهم وشركهم فهناك قصيدة لحسان يجيب بها ابن الزبعرى وهو من شعراء قريش الذين كانوا يهاجمون الإسلام بأشعارهم فيجيبه حسان قائلاً يوم الخندق :

هل رسم دارسة المقام يباب ... متكلم لمحاور بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه ... وهبوب كل مطلةٍ مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم ... بيض الوجوه ثواقب الاحساب
فدع الديار وذكر كل خريدةٍ ... بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم الى الاله وما ترى ... من معشرٍ ظلموا الرسول غضاب
ساروا بأجمعهم اليه وألبوا ... اهل القرى وبوادي الاعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم ... متخمطون بحلبة الاحزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتل الرسول ومغنم الاسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ... ردوا بغيظهم على الاعقاب[1]

وقال حسان ايضاً يهجو هذيلاً فيما صنعوا بخبيب بن عدي :

أبلغ بني عمرو بأن أخاهم ... شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الاغر وجامع ... وكانا جميعاً يركبان المحارما
اجرتم فلما أن أجرتم غدرتم ... وكنتم بأكناف الرجيع لهاذما
فليت خبيباً لم تخنه امانة ... وليت خبيباً كان بالقوم عالما[2]

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ص٤٧٤

(٢) المصدر نفسه ص٤٣٧

الخاتمــة :

١ ـ يمثل حسان بن ثابت انموذج الشعراء المخضرمين الذين عرفوا بالشعر في الجاهلية والإسلام .

٢ـ كان لإسلام حسان تأثير جلي في شعره ؛ من حيث استخدام الفاظ لها دلالات لم تكن مستخدمة في ما قبل الإسلام ، مثل الشرك والايمان والصلاة وغير ذلك من الفاظ اكتسب الدلالات جديدة بأثر من الدين الجديد ، كما تأثر بالقرآن الكريم ، فأخذ من آياته ومعانيه للتعبير عن مقاصده ، وصوره .

٣ـ استطاع حسان بن ثابت ان يستغل موهبه الشعرية لتكون واحده من الوسائل التي دافعت عن الإسلام وقيمه ، وعن الرسول ﷺ ، وعن المجاهدين والتنويه ببطولاتهم ، وتعظيم قيم الشهادة في سبيل الله .

٤ـ يعد شعر حسان صدى تاريخياً لأحداث عصره ؛ حيث عكس احداثاً تاريخية مهمة ؛ من وصف الحروب ، ورثاء الشهداء ، وعرض المواقف التاريخية بما فيها الشخصيات المعادية للإسلام من جهة ، وتلك المدافعة عنه من جهة اخرى .

٥ـ يظهر في شعر حسان اختلاف نتج عن الانتقال من الجالية الى الإسلام : في المعاني والمضمون من ناحية ، وفي الاسلوب والشكل من ناحة اخرى .

٦ـ القيم الإسلامية هذبت شعر حسان بعد إسلامه ، واعلنت منزلته ، وزادت من قيمته التربوية .

٧ـ لين شعر حسان بن ثابت في الإسلام لم يكن لتراجع هذا الشاعر في الشعر وانما لتهذيبه له

٨ـ اتسم شعر حسان في الاسلام بالرقة والعذوبة والتأثر بالقرآن الكريم في الفاظه ومعانيه

٩ـ لقد مثل حسان بن ثابت في نهاية عصره شاعر الاسلام والمسلمين ، بل (شاعر النبي ﷺ ، فيكفيه شرف هو وشعره ان يناط هذا اللقب به وهو شاعر النبي محمد ﷺ ، حسان بن ثابت) .

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

١ ـ الإسلام والشعر ، فايز ترحيني ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠

٢ ـ الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، كلية الآداب جامعة مؤته ، دار المناهج ، عمان ، الاردن ، د. ط ، ٢٠٠٦

٣ ـ الإسلام والشعر ، سامي مكي العاني ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٦

٤ ـ الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ج٦ ، ١٩٣٥

٥ ـ تاريخ الادب العربي العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٧ ، ج٢ ، ١٩١٩

٦ ـ حسان بن ثابت شاعر الرسول ، سيد حنفي حسنين ، دار النشر المؤسسة المصرية العامة ، ط١ ، ١٩٦٣

٧ ـ حسان بن ثابت ، احسان النص ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط٣ ، ١٩٨٥

٨ ـ حسان بن ثابت ، محمد ابراهيم جمعه ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧١

٩ ـ ديوان عبد الله بن رواحة دراسة في سيرته وشعره ، وليد قصاب ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، دار العلوم ، ط١ ، ١٩٨١

١٠ ـ ديوان الحطيئة ، مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣

١١ ـ ديوان متمم بن نويرة ، موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ، المجلد الثاني عشر ، ط١ ، ٢٠١٢

١٢ ـ ديوان حسان بن ثابت ، سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣

١٣ ـ ديوان حسان بن ثابت ، تح . وليد عرفات ، معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، ج١ د.ط ١٩٧١

١٤ ـ دراسات في الأدب الإسلامي ، محمد خلف الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط١ ، ١٩٤٧

١٥ ـ ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تح . عبدالله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦

١٦ ـ ديوان كعب بن مالك الانصاري ، تح . مجيد طراد ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧

١٧ ـ ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تح . نعمان محمد امين طه ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧

١٨ ـ الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام السهيلي ، مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون ، د.ط ، ج١ ، ١٩٧١

١٩ ـ رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٠

٢٠ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، دار ابن حزم ، بيروت . لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩

٢١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تح .ش ، احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، ج١ ، ١٩٥٨

٢٢ ـ الشاعر الشهيد عبدالله بن رواحة ، عبد المنعم احمد يونس ، مطبعة الامانة ، القاهرة، ط١ ، ١٩٨٩

٢٣ ـ شعراء العرب عصر صدر الإسلام ، يوسف عطا الطريفي ، الاهلية للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط٢ ، ٢٠٠٩

٢٤ ـ شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، يحيى الجبوري ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤

٢٥ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، مصر د.ط ، ١٩٢٩

٢٦ ـ شاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ، عبدالله انيس الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د.ط ، ١٩٥٥

٢٧ ـ شاعر الإسلام حسان بن ثابت الانصاري ، وليد الاعظمي ، مكتبة المنار ، الكويت ، د.ط ١٩٦٢

٢٨ ـ كعب بن مالك الانصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، سامي مكي العاني ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٠

٢٩ ـ كعب بن مالك الصحابي الممتحن ، محمد يوسف أيوب ، دار الارشاد ، سورية ، ط٢ ، ٢٠١٧

٣٠ ـ لسان العرب ، لابن منظور ، دار المعارف ، ط١ ، طبعته المطبعة الاميرية بالقاهرة (طبعة بولاق) ، المجلد الثاني ، ج١٧ ، ١٨٨٢

٣١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط٢ ، ج٩ ، ١٩٩٣

٣٢ ـ موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الاموي ، عبد عون الرضوان ، دار اسامة ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠١

٣٣ ـ محاضرات في الادب الإسلامي والاموي ، يوسف شحدة الكحلوت ، د.ط ، ج١ ٢٠٠٩،

٣٤ ـ مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، د.ط ، ١٩٦٨

٣٥ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، تح . احسان عباس ، دار صادر، بيروت ، المجلد الخامس ، ط١، ١٩٩٤